

أثينا لا شرقية ولا غربية إنها ثقافة عالمية

خالد رؤوف: اليونانيون لم يغادروا مصر لأسباب سياسية



لا شك أن الثقافة اليونانية واحدة من أهم الثقافات تأثيراً في الفكر العالمي، علمياً، فلسفياً، وجمالياً، وهي الأقرب إلى العرب في العالم الغربي، ربما بحكم القرب الجغرافي والتشابه الاجتماعي والتداخل المجتمعي عبر الهجرات المتبادلة. لذلك فترجمة نصوص الإبداع والفكر اليونانيين إلى العربية، وترجمة الكتابات العربية إلى اللغة اليونانية تمثل زواجا ناجحاً ومثمراً يحقق مصالح الطرفين، ويفتح مسارات جديدة للثقافة العربية، وهي تكابد وتكافح الانغلاق والتطرف، والتعصب الديني. فيما يلي حوار مع المترجم المصري خالد رؤوف الذي يعد من أهم المترجمين من اليونانية.



مصطفى عبيد
كاتب مصري

يُعد خالد رؤوف من أهم المترجمين المتخصصين في الترجمة من اللغة اليونانية. قدم ترجمات لنحو 25 من الكتاب اليونانيين الكبار، بينهم نيكوس كازنتزاكيس، يانيس ريتسوس، نيميتريس نيميترياديس، كوزماس بولييتيس، ستراتيس تسيركاس، ثيونوروس غريغور باديس، بيرسا كوموتسي، بانوس يونانيس، وغيرهم.

كما ترجم عن الإنجليزية بعض الأعمال المسرحية إلى اللغة العربية، من بينها أعمال لبرنارد شو، تينيسي ويليامز، صمويل بيكت، ودراسة عن المسرح والعرض المسرحي الأفريقي لكن إيجويو.

الثقافة اليونانية، هي ثقافة عالمية وبالطبع لها تأثير على الإبداع الشعري والأدبي والفكري العالمي بشكل عام

تخرج رؤوف في جامعة أثينا، وحصل على دبلوم ترجمة ودبلوم المسرح القومي، والدراسا من اليونان، كما حصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة شيكاغو في تاريخ الفن الكلاسيكي (اليوناني / الروماني). ويعمل حالياً منسقاً عاماً للنشاط الثقافي والتعليمي بمؤسسة الثقافة اليونانية - فرع الإسكندرية. ومن المهم التعرف على رؤاه وتصورات بشأن التواصل والتشابه بين الثقافات العربية والثقافة اليونانية، لا بحثاً عن المشترك فقط، وإنما هو استقراء لآلوان جديدة من الإبداع، والبحث عن مسارات مستحدثة للدهشة والمتعة.

تصبح المسار

■ **الجديد:** الترجمة جسر تواصل بين الثقافات المختلفة، فمن خلالها يُمكن تبادل المنافع والرؤى الإنسانية والأفكار المدمجة والتعرف على مواطن الجمال الفني، كما يُمكن بواسطتها غرس فكرة التعدد والاختلاف وقبول الآخر، فأني أي مدى تتفق أو تختلف مع هذا التصور؟

■ **خالد رؤوف:** الدور الأساسي الذي تقوم به الترجمة نراه واضحاً من خلال النظرية التي تقول إن للحضارة أطواراً

تتسع الترجمات عن اللغات الكبيرة وتندر عن اللغات الصغيرة

■ **خالد رؤوف:** الاختيار جاء من باب الحب، فحسب اللغة والثقافة والأدب اليوناني وشغف الترجمة والرغبة في تقديم الأدب اليوناني الحديث للقارئ العربي دفعتني دفعا للتخصص في اللغة اليونانية، وهي دون شك لغة ثرية للغاية وشعرية بالمقام الأول، غير أنها لغة المنطق كما يقول أهل اللغويات، هذا أول ما جذبني إلى هذا العالم السحري.

لا شرقية ولا غربية

■ **الجديد:** هل اقتصرتم معرفة اليونانيين بالأدب العربي الحديث على إنتاج الأديب المصري الراحل نجيب محفوظ، وأشير هنا إلى جهود الروائية والمترجمة بيرسا كوموتسي، هل توجد عنواناً عن العربية دون أي دعم من أي جهة رسمية عربية أو غير رسمية، فإننا لا يمكن أن نتحدث عن حركة ترجمة وأدبنا لا يدرس في الجامعات اليونانية بشكل كبير.

■ **خالد رؤوف:** كنت أتمنى أن أعطي إجابة مغايرة لهذا السؤال، لكن إلى حد كبير إجابتي نعم. فعلى الرغم من الجهود الجبارة التي قامت وتقوم بها السيدة بيرسا كوموتسي التي هي بمثابة مؤسسة، إذ نقلت ما يزيد عن أربعين عنواناً عن العربية دون أي دعم من أي جهة رسمية عربية أو غير رسمية، فإننا لا يمكن أن نتحدث عن حركة ترجمة وأدبنا لا يدرس في الجامعات اليونانية بشكل كبير.

ورغم ذلك ثمة شغف لدى القارئ اليوناني بالأدب العربي وما قدمته السيدة بيرسا كوموتسي من ترجمات، فقد قدمت كتاباً مثل طه حسين وصنع الله إبراهيم مؤخراً، وإبراهيم عبدالمجيد، كما قدمت أيضاً مجموعة من الشعرية للشباب من العالم العربي في إنطولوجيا شعرية لاقت نجاحاً واستحساناً لدى القارئ اليوناني، كما حازت على جائزة جمعية الكتاب والمترجمين اليونانية. والأمر ليس مرتبطاً فقط بما بعد ما يسمى "بالربيع العربي"، لكن بما نريد أن يترجم عنا إلى لغات أخرى، وإذا ما كنا ندعم هذا كدول ونطرح ونرشح الأعمال التي تستحق ونطرح على العالم أدبنا وشعرنا وثقافتنا، أم لا.

■ **الجديد:** إلى أي مدى أثر نجيب محفوظ في حركة الأدب اليوناني المعاصر، وما سر الأفتنان الشديد بإبداعه؟

■ **خالد رؤوف:** بالطبع نجيب محفوظ عالمي، وتأثيره في نفوس القراء قوي على مستوى العالم، وهذا شأن أي كاتب عالمي، في حجم محفوظ وكازانتزاكيس وكامو وتولستوي إنج. فالكتاب الحقيقي يمس البشر على اختلاف ثقافتهم ولغاتهم هذه هي الحقيقة أو السر إن شئت. وأعتقد أن هناك تافراً لدى بعض الكتاب الشباب في اليونان بعالم محفوظ لكنه لم يرق بعد لأن يصبح ظاهرة، والأمر يحتاج إلى وقت كي يدرس أو ينظر إليه.

من المعاصرين على الشعر والأدب العربي، ومن وجهة نظري هناك تأثير واضح على النضج الأدبي والشعري العربي لكل من كازانتزاكيس وريتسوس وكفافيس على سبيل المثال لا الحصر.

■ **الجديد:** تاريخياً ما السبب في تراجع أعداد الجاليات اليونانية في العالم العربي، وهل ساهمت الانقلابات العسكرية أولاً، ومن ثم صعود التيارات الدينية في العالم العربي في توقف هجرات اليونانيين إلى المدن العربية، بمعنى لم تعد المجتمعات مرحبة بوجودهم ومستوية لهم؟

■ **خالد رؤوف:** بشكل مّا فإن تواجد الجاليات في أي مجتمع يرتبط ارتباطاً شديداً بالهجرة التي هي إما هجرة اقتصادية أو سياسية، وفي حالة الجاليات اليونانية فقد كانت الهجرة لأسباب اقتصادية بشكل كبير، ولا أظن أن مغادرتهم مصر على وجه الخصوص كانت لأسباب سياسية بحتة، كما يحلو للبعض أن يرى أو يتحدث، فالسبب الأساسي لهجرتهم الثانية من وطنهم الثاني وعودتهم إلى اليونان أو إلى بلدان أخرى، مثل الولايات المتحدة أو أستراليا أو دول في أميركا اللاتينية، أو حتى جنوب أفريقيا، كان اقتصادياً أيضاً.

الترجمة من اليونانية

هي محاولات فردية ورغم الجهود الكبيرة من المترجمين فهي لا ترتقي لتكون حركة ترجمة واسعة

من هنا فالطابع السياسي الذي تصبغ به تلك المغادرة أو مثلما يغالط الكثيرون ويسموننا تهجيراً أو إغلاء يحتاج إلى مراجعة، ففي العهد الناصري (فترة حكم الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر) مثلاً فإن التاميم كان يسري على الجميع من المصريين والأجانب، لكن الأجانب وبالأخص رجال الأعمال منهم لم يرق لهم الأمر وروجوا للأمر بعكس ذلك، وأشاعوا الرعب بين أبناء الجاليات وساعدوهم على المغادرة، وهم الذين كانوا يعملون في شركاتهم ومصانعهم، علاوة على فقدان الأجانب للكثير من الامتيازات التي كانت متاحة لهم في العهد الملكي (قبل ثورة 23 يوليو 1952).

■ **الجديد:** لماذا اخترت التخصص في الثقافة الحديثة فيللتأكد هناك تأثير لأدياء وشعراء يونانيين قديمين؟

المتوسط ترى البحر، وتنتظر إلى أفق واسع ممتد، وهو ما يعكس بشكل المساولات إذ يعوزها التنسيق بين كل الجهات المعنية في كل البلدان العربية. هذا يقودنا إلى السؤال عن اتساع الترجمات عن اللغات الكبيرة وندرتها عن اللغات الصغيرة، والأمر بالطبع خاضع لاعتبارات كثيرة، أهمها في رأيي حضور سياسات وإستراتيجيات ثقافية واضحة للسول الناطقة بالإنجليزية والفرنسية والإسبانية وتفعيلها، إذ يشغلهم كثيراً أن تنتشر لغاتهم وثقافتهم ولذلك هم يُعَلِّسون هذا الإشغال والاهتمام إلى سياسات تعليمية وثقافية واضحة. وهناك لغات وثقافات وقوى أخرى بدأت تدرك الأمر وتعمل على نفس النهج، مثل الصين وتركيا، وبخبرة سريعة على الواقع الثقافي في السنوات الأخيرة على تتباين أسباب ندرة الانتشار بين غياب الرؤى والسياسات والإستراتيجيات الثقافية وبين المشاكل الاقتصادية التي لا يمكن أن تغفلها أيضاً.

أما عن الإسكندرية بشكل خاص فصفتي "سكندرية" (من أبناء الإسكندرية) يحب هذه المدينة، فيمكنني بكل بساطة أن أجيب بشوقية كبيرة ربما يتميز بها "السكندريون" من فرط عشقتهم للمدينة، ويمكنني أن أملا صفحات بكلام كبير وفضفاض يدمي حسرة ونوستالوجيا عن جمال التعددية الثقافية وقبول الآخر وعظمة المكان والاحتواء والكوزموبوليتانية (تعدد الثقافات وتنوعها) العريقة العميقة وأردد كلمات للاستهلاك الذاتي المحلي، لكنه ليس حقيقياً في رأيي الشخصي، فالإسكندرية التي كانت ترى البحر منذ عقود طويلة تنظر الآن إلى الصحراء، وهذا هو مدى تغيير الأفكار والتصورات بالنسبة إلى البشر الذين يعيشون في هذه المدينة.

أما عن الجالية اليونانية فعددها صار قليلاً جداً، وهم متقوقعون في أماكنهم، يدورون حول أنفسهم تماماً مثل جموع المنفيين في المدينة، يحاولون الاقترب من بعضهم البعض لكن بلا تغيير مجتمعي، وبشكل عام فإن أبرز التأثيرات والباقية للجالية هي حضورها التاريخي، وبعض المحاولات التي تتم من قبل مؤسسة الثقافة اليونانية بالإسكندرية، وهي جهة حكومية يونانية تأسست في تسعينات القرن الماضي تسعى لنشر الثقافة اليونانية وإدارة منزل كفافيس والتنسيق مع الجالية اليونانية بمصر في أنشطة ثقافية مختلفة.

■ **الجديد:** الثقافة اليونانية من الثقافات القريبة من العالم العربي بحكم الجغرافيا والتاريخ، هل تلحظ تأثيرات من نوع مّا لها في الإبداع الشعري العربي الحديث أو الأدبي والفكري عموماً؟

■ **خالد رؤوف:** اليونانيون وغيرهم من الذين عاشوا في مصر تركوا بالفعل بصمات قوية، لكن بدأ أغلبها يلاشئ مع الوقت وعدم الوعي الذي يتراكم منذ عقود، فالإسكندرية مثل أغلب المدن الساحلية المطلة على البحر

■ **خالد رؤوف:** بالنيابات ولكن بالسياسات الثقافية والتعليمية وكل الجهود تبقى في طور المساولات إذ يعوزها التنسيق بين كل الجهات المعنية في كل البلدان العربية. هذا يقودنا إلى السؤال عن اتساع الترجمات عن اللغات الكبيرة وندرتها عن اللغات الصغيرة، والأمر بالطبع خاضع لاعتبارات كثيرة، أهمها في رأيي حضور سياسات وإستراتيجيات ثقافية واضحة للسول الناطقة بالإنجليزية والفرنسية والإسبانية وتفعيلها، إذ يشغلهم كثيراً أن تنتشر لغاتهم وثقافتهم ولذلك هم يُعَلِّسون هذا الإشغال والاهتمام إلى سياسات تعليمية وثقافية واضحة. وهناك لغات وثقافات وقوى أخرى بدأت تدرك الأمر وتعمل على نفس النهج، مثل الصين وتركيا، وبخبرة سريعة على الواقع الثقافي في السنوات الأخيرة على تتباين أسباب ندرة الانتشار بين غياب الرؤى والسياسات والإستراتيجيات الثقافية وبين المشاكل الاقتصادية التي لا يمكن أن تغفلها أيضاً.

بمراحل، وإن لكل طور ومرحلة شعباً من الشعوب يحمل مشعل الحضارة، تماماً كما في سباق الماراثون، إذ ليس باستطاعة أي شعب أن يحمل هذا المشعل إلى الأبد، بل هو يأخذه من شعب سابق ويسلمه إلى شعب لاحق، يأخذ ويعطي، مستفيداً من مجمل الإنجازات التي توصلت إليها الشعوب الأخرى قبله، وناقلاً ما وصل إليه وما استطاع أن يطوره بإمكاناته الذاتية إلى ما بعده، وعملية النقل هنا تعتمد اعتماداً رئيسياً على الترجمة.

بالتالي، فالترجمة تؤسس وتجدد المعرفة التي من فضائلها فهم الآخر بشكل أعمق، من هنا يأتي قبول الآخر فالمعرفة تمنحنا التواصل وقبول فكرة أنه ليس هناك شخص يحتكر المعرفة أو الحكمة أو الحقيقة المطلقة. كما أن التعرف على فكر الآخرين يجعلنا نرى أنفسنا من على مسافة متعقلة محايدة، فنكتسب سمة النقد الذاتي البناء أي التفكير النقدي العقلاني، وإذا سررنا في الطريق الصحيح للمعرفة والتعلم والبحث عن الحقيقة فلن نتناقش في بديهيات إنسانية مثل التعدد والاختلاف وقبول الآخر، وكل ما سبق تلعب الترجمة فيه دوراً أساسياً.

■ **الجديد:** إلى أي مدى يتحقق ذلك في عالنا العربي، وما هو تقييمك لواقع الترجمة الثقافية في العالم العربي، ولماذا تتسع الترجمات من الإنجليزية والفرنسية وتقل وربما تندر في اللغات الأخرى مثل التركية، الصينية، الكورية، اليابانية، الفارسية، الأوردو، واليونانية؟

■ **خالد رؤوف:** أنا واثق أننا على الطريق، ربما في بداياته، ربما تصادفنا الكثير من العراقيل لكن لا أستطيع أن أنكر أن هناك محاولات صادقة ونية خالصة لتصحيح المسار الذي فقدناه أو تاه منا بفعل فاعل أو بايدينا لا يهم، لكن التطور الحضاري ولاسيما الثقافي سوف يستمر، وما نصبو إليه لن يتحقق

■ **خالد رؤوف:** اليونانيون وغيرهم من الذين عاشوا في مصر تركوا بالفعل بصمات قوية، لكن بدأ أغلبها يلاشئ مع الوقت وعدم الوعي الذي يتراكم منذ عقود، فالإسكندرية مثل أغلب المدن الساحلية المطلة على البحر

